Sada Al-Jamiah Journal for Humanities (مجلة صدى الجامعة للعلوم الإنسانية)
Volume 4 - Issue 2 - 2026 - Pages 236-243
Website: https://oujournals.ly/index.php/sajh/index

Psychological significations in the poetry of Ibn al-Mu'tazz

Sharada Ali Abdsalaam Kaleefa Salhb *
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, University of Bani Waleed,Libya
* **Email (for reference researcher):** Sharadaali@bwu.edu.ly

الدلالات النفسية في شعر ابن المعتز

شراده علي عبدالسلام خليفة سلحب*
قسم اللغة العربية ، كلية الآداب، جامعة بني وليد ،ليبيا

تاريخ الاستلام: 25-03-2026، تاريخ القبول: 15-05-2026، تاريخ النشر: 20-05-2026

Abstract
This study aims to explore the psychological dimension in the poetry of Abdullah ibn al-Mu'tazz and to analyze the impact of his personal experiences and political and social circumstances on his poetic output, with a focus on the relationship between the poet's psyche and his creative work. The research highlights how his inner conflicts-whether emotional, social, or political—are reflected in the themes and artistic techniques of his poetry, showing that his poetry is not merely an aesthetic tool but a means of expressing psychological struggles. Through psychoanalytic analysis, it becomes evident that psychological anxiety and the search for self were influential factors in shaping his poetic vision, as he employed metaphors and figurative imagery to embody his moods and human experiences. The study also emphasizes the artistic mechanisms, such as the internal rhythm of the poem, cadence, and figurative expressions, which helped the poet convey his feelings with depth and sincerity. Furthermore, the research indicates that the relationship between creative work and psychoanalysis is not one-way; each nourishes the other. Understanding the poet's psychology explains his artistic choices, while his poetry allows for deeper exploration of his inner self. Hence, examining Abdullah ibn al-Mu'tazz's psyche through his poetry provides an integrated perspective on how personal experiences and external circumstances shape poetic creativity closely linked to the poet's psychological state.

Keywords: Meanings,Society, Psychoanalysis, Creative tension,Poetry.

الملخص
تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف البُعد النفسي في شعر عبدالله بن المعتز وتحليل تأثير التجارب الشخصية والظروف السياسية والاجتماعية على إنتاجه الشعري، مع التركيز على العلاقة بين نفسية الشاعر ونتاجه الإبداعي. يبرز البحث كيف انعكست صراعاته الداخلية، سواء كانت عاطفية أو اجتماعية أو سياسية، على موضوعات شعره وأساليبه الفنية، مما يُظهر أن الشعر عنده ليس مجرد أدوات جمالية بل وسيلة للتعبير عن الصراعات النفسية. من خلال التحليل النفسي، يتضح أن القلق النفسي والبحث عن الذات كانا عاملين مؤثرين في تكوين رؤيته الشعرية، حيث استخدم الاستعارات والصور البلاغية لتجسيد حالاته المزاجية والمواقف الإنسانية المختلفة. كما يركز البحث على الآليات الفنية مثل الموسيقى الداخلية للقصيدة، الإيقاع، والصور البيانية، التي ساعدت الشاعر على نقل مشاعره بعمق وصدق. ويشير البحث كذلك إلى أن العلاقة بين العمل الإبداعي والتحليل النفسي ليست أحادية الاتجاه، بل كل منهما يغذي الآخر؛ فالفهم النفسي للشاعر يفسر اختياراته الفنية، وفي الوقت ذاته، يتيح الشعر استكشاف أعمق لمكنونات نفسه. من هنا، يمكن القول إن دراسة نفسية عبدالله بن المعتز من خلال شعره تقدم رؤية متكاملة لفهم كيف يمكن للتجربة الشخصية والظروف الخارجية أن تشكل إبداعًا شعريًا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالجانب النفسي للشاعر.

الكلمات المفتاحية :الدلالات ، المجتمع ،التحليل النفسي،التوتر الإبداعي، الشعر.

المقدمـــة

إن الفنون الإنسانية وبما فيها الشعر الذي دائماً ما كان ولا زال وسيظل لسان حال صاحبه والناطق باسم حالاته النفسية، فليس معقولاً أن يكون هناك شاعر أو فنان يقصى نفسانيته ومشاعره من عملية الخلق الفني خاصته، وهنا تبرز أهمية علم النفس والتحليل النفسي للعمل الإبداعي، فعلم النفس صار من العمد التي يقوم عليها النقد الأدبي حيث تتناول بالبحث المادة الأدبية التي هي من عمل النفس الإنسانية، والعلاقة بين التحليل النفسي والأدب علاقة عضوية، باعتبار أن التحليل النفسي للأدب يكشف عن اللاوعي وأن الأدب يكشف عن المكنونات النفسية وكلاهما يفيد من الآخر ويسهم في فهم العلاقات الناشئة بينهما منذ لحظة الإبداع .

وسأقدم في هذه الورقة البحثية بدايةً التعريف بالشاعر عبد الله بن المعتز ومن ثم نبذه عن التحليل النفسي للعمل الإبداعي وثالثاً نماذج شعرية توضح العلاقة بين نفسية ابن المعتز ونتاجه الأدبي. واخيراً الخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

وتتمثل مشكلة البحث في الإجابة على السؤالين: ما أبرز الدلالات النفسية في شعر عبد الله بن المعتز، وما أهم المشاعر والانفعالات النفسية التي انعكست في شعره، ويهدف البحث إلى التعريف بالشاعر عبد الله بن المعتز، والكشف عن أبرز الدلالات النفسية في شعره، إبراز القيمة الفنية للدلالات النفسية وأثرها في بناء النص الشعري، واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي النفسي من خلال وصف الظواهر النفسية الواردة في نصوصه الشعرية.

المبحث الأول: التعريف بالشاعر

هو أبو العباس عبد الله ابن المعتز، وُلد سنة 861م وتوفي سنة 908م. كان أميرًا وشاعرًا وأديبًا عباسيًا، تولّى الخلافة يومًا وبعض يوم بعد خلع المقتدر، ولقب بالمرتضى بالله (معروف، 1975، ص. 13).

لقد كان ابن المعتز من أبرز الشخصيات الأدبية التي كان لها الأثر البالغ في العصر العباسي على توجيه مجريات الأحداث السياسية والاجتماعية والخوض فيها بسلاح قلمه وعلمه. ومن الأحداث المؤثرة في حياته حادثة اغتيال والده المعتز على يد أتراك القصر وفتيانه، قبل أن يُنفى إلى الحجاز، وتحديدًا إلى مكة، حيث قضى فيها سنوات عديدة، ثم عاد بعدها إلى بغداد. وتميزت حياته خلال هذه الفترة باللهو والمجون، إلى أن تمت الإطاحة بالمقتدر بالله (895 – 932م) فتولّى الخلافة، لكنها لم تستمر سوى يوم وبعضه، إذ قُتل في ذات الليلة على يد غلمان المقتدر، ليصبح مصير الخلافة العباسية منذ عهد جده المتوكل متأثرًا بالخيانة وسيطرة الأتراك على مفاصل الدولة.

قد تختلف الآراء حول حياة ابن المعتز السياسية وأدائه فيها، بين من يصفه بالضعف والانحياز، وبين من يرى خلاف ذلك. لكن المؤكد أنّه كان شخصية أدبية فذّة، صنّف في شتى العلوم والفنون، من التاريخ إلى الأدب والموسيقى، حتى قيل إنه تربع على عرش الأدب واستوى على مقام من العلم ودان له التاريخ بالولاء. فقد قال عنه محمد بن إسحاق النديم: "واحد دهره في الأدب والشعر، وكان يقصده فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، ولقي العلماء من النحويين والإخباريين كثير السماع غزير الرواية" (ابن النديم، 1996، ص. 286). كما ذكره ابن خلكان في مصنفه وفيات الأعيان: «كان أديبًا بليغًا، شاعرًا مطبوعًا مقتدرًا على الشعر، قريب المأخذ سهل اللفظ، جيد القريحة، حسن الإبداع، مخالطًا للعلماء والأدباء، معدودًا من جملتهم» (ابن خلكان، 1970، ص. 76).

ومما يُذكر عن خصوصية شعر ابن المعتز وأدبه أنه سخّرهما في التعبير والدفاع عن الخلافة العباسية، وجرد سيفه على أعدائها، خاصة القرامطة وغيرهم. أما من ناحية الخصوصية الفنية لشعره، فإنه يُعتبر بامتياز الرائد في شعر البديع والمجيد، فقد قال ابن رشيق القيرواني عن شعره: ".. وما أعلم شاعرًا أكمل ولا أعجب تصنيفًا من عبد الله ابن المعتز ...، وهو عندي ألطف أصحابه شعرًا، وأكثرهم بديعًا وافتنانًا" (ابن رشيق، 1994، ص. 262).

إنّ براعة ابن المعتز في الشعر لا يُجارى فيها إلاّ براعته في النقد، إذ لطالما اتصف بالشاعر الناقد، ولنا في مصنفاته البديع وطبقات الشعراء خير دليل على ذلك. فقد كان نقده قائمًا على الذوق العربي الأصيل، حتى وصفه بعض المستشرقين بأنّه أديب ناقد وافر العلم والثقافة، ذو بصيرة بمكامن الجمال، صاحب سلامة ذوقية ومقتدر في أحكامه وآرائه. لقد كان الأمير الشاعر الناقد ابن المعتز من أعلام النقد الأدبي، وما كتابه البديع إلا برهان صادق على فذاذته النقدية، ويعد من أخطر الأثر في تاريخ النقد العربي (أحمد، 1964، ص. 266).

المبحث الثاني: التحليل النفسي والعمل الإبداعي:

إن الحقيقة في حالة "التوتر الإبداعي" ليست محددة تمامًا، ولا يزال يكتنفها الكثير من الغموض، يشبه غموض العقل البشري نفسه. وفي أبسط التحليلات يمكن القول إن التوتر الإبداعي هو حالة من أحوال النفس تتسم بالتناقضات، أو حالة من الإثارة والحركة تستدعي البحث عن الحل والتوازن، مما يؤدي إلى تشكيل الكلمات بطريقة محددة تؤدي بدورها إلى إعادة التوازن والانضباط للحالة النفسية. وهذه الحالة ليست حالة مرضية بالطبع. ويحاول بعض الأفراد الوصول إليها عمدًا، سواء باستخدام مواد ذات تأثير نفسي عصبي، أو من خلال التعرض لمشاهد ومثيرات خاصة والتفاعل معها، أو عبر ترتيب الأجواء المناسبة، طبيعية كانت أم غير طبيعية، مثل اختيار الزمان والمكان والأشخاص والأشياء المحيطة، التي تثير مثل هذه الحالات التوترية الإبداعية.

لقد اهتم النقاد القدامى كثيرًا بدراسة علاقة النص الأدبي بنفسية صاحبه من خلال "البحث في صحة المعاني أو فسادها في الدلالة على حالة الشاعر وملاءمتها لمزاجه وطبعه، وفي العناية بتقديم المحسنات وأساليب الجمال الفني" (إبراهيم، 2004، ص. 72). فاختلاف الإنتاج الأدبي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتباين الأمزجة والطباع، إذ تلعب الفروق في تركيب البنية النفسية للشعراء دورًا مهمًا في الاستجابة لدوافع الرغبة والنفور من جهة، ودواعي التميز والتفرد من جهة ثانية. كما توجد إشارات نقدية تربط بين الأساليب الأدبية والبلاغية والتشكيلات الجمالية وبين نفسية مستعمليها، وذلك كما يوضح ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء حيث يقول: "أنّ للشعر تارات يبعد فيها قريبة، وللشعر أوقات يسرع فيها أتيه، ويسمع منها أول الليل ومنها صدر النهار ومنها الخلوة" (ابن قتيبة، 1423هـ، ص. 84).

كما أكد عبد القاهر الجرجاني هذه العلاقة بين النفس والشعر حين قال: "فاعلم أنّ ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف أو إلى ظاهر الوعي اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقترحه العقل في زناده" (الجرجاني، 1999، ص. 3)، وهذا تأكيد صريح على أثر النفس الشاعرية في النتاج الشعري للمبدع. وقد اتبع هذا النهج الكثير من النقاد التابعين مثل ابن طباطبا، قدامة بن جعفر، وحازم القرطاجني وغيرهم ممن تنبهوا إلى العلاقة بين النص الأدبي ومزاج وطباع

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المبدع. لذلك، اهتمت دراسات المتقدمين من النقاد بمعرفة أحاسيس الشعراء وانفعالات مشاعرهم، وتحديدًا المؤثرات البيئية والاجتماعية التي توجه سلوكهم وميولهم الفطرية والغريزية، ووصف تعاملهم مع الألفاظ بأوصاف تتناغم مع طبيعة كل منهم. إن بعض الإبداعات الأدبية والشعرية، خاصة مثل إبداع ابن المعتز الشاخص أمامنا، تحمل دلالات قد تشكل للناقد عقبة يصعب تجاوزها بدون استخدام تقنيات التحليل النفسي، "لأنّ العمل الأدبي موقع أثري له طبقات متراكمة من الدلالة، ولابد من كشف غوامضه وأسراره" (الميجان والبازغي، 2002، ص. 226).

هذه الأسرار، كما يظهر عند ابن المعتز، تعبّر في الواقع عن اللاشعور الفردي الذي تبرز فيه تفاعلات الذات وصراعاتها الداخلية، وتشمل مجموعة من الخصائص في مقدمتها التكثيف والإزاحة والرمز. إذ سرعان ما تأكد فرويد وتلاميذه أن هذه القوانين نفسها تحكم طبيعة الأعمال الفنية والأدبية، خصوصًا الشعرية منها (فضل، 2002، ص. 55-56).

وهكذا، فإن جمالية التشكيل الشعري لا تتضح أو تتجلى إلا عندما يكون هناك تلاقح بين الأدب والتحليل النفسي، فهما يلتقيان في العديد من التصورات ويخدم كل منهما الآخر. يقول جون بيلمان نويل: "لقد أعطى الأدب الكثير إلى التحليل، والتقدم لا يمكن إنكاره" (بيلمان نويل، 1997، ص. 9).

ومن ثم، لا يمكن إغفال ميدان معرفي مهم مثل التحليل النفسي للكشف عن القيمة الجمالية التي يزخر بها شعر ابن المعتز. فالدراسة النفسية لشعره تخدم الباحث والمتلقي على السواء، إذ تزيد من قدرتهما على الفهم والتعمق، وتمكنهما من استطلاع جماليات شعره.

إن الاستجابة الجمالية عند ابن المعتز هي نتاج عدة مؤثرات، وهي حالة سيكولوجية لها هويتها المتميزة وطبيعتها المتفردة، وقابلة للقياس النقدي. وأهم الأبعاد المؤثرة في هذه الاستجابة تتركز أساسًا في البعد الوجداني الذي يتضمن القيم الشخصية، والاتجاهات، والميول، والدوافع، وخصائص الشخصية، والتي تلعب دورًا كبيرًا في تشكيل الخلفية الوجدانية للشاعر، بموجبها يقبل أو يرفض ما يُعرض عليه من نماذج قابلة للتذوق والتقديم.

لذلك، تُعد دراسة الشخصية النفسية للشاعر المدخل الأساسي لفهم سلوكه الإنساني، وأفضل الطرق لدراستها هي تصنيفها وفق السمات التي تكونها، وهو ما يوفّر أساسًا متينًا لفهم الشعرية المتميزة عند ابن المعتز.

المبحث الثالث: العلاقة بين نفسية ابن المعتز ونتاجه:

لقد مثّلت العلاقة بين نفسية ابن المعتز والجمال الرؤية الموضوعية التي تؤمن بأن الجمال قائم بذاته وموجود خارج النفس الشاعرة به. ويستند هذا الرأي إلى إحساس ابن المعتز بالجمال الحسي والواقعي، وهو ما يتضح في أغلب نتاجه الشعري، ربما لأن الجمال في عصره كان كثيرًا ما يُدرَك عن طريق الإحساس المباشر؛ فالألوان والأصوات والملمس وغيرها من الموضوعات الحسية كانت لها الأسبقية في أن تكون موضوعات جمالية. وقد تحمل هذه النظرة الموضوعية جانبًا من الحقيقة، لكن لا يمكن إنكار فضل ذاتية الشاعر في الاستجابة الجمالية لديه، فالجمال عنده ظاهرة نفسية وخبرة ذاتية، وهو جمال يمثل حقيقة موضوعية متناسقة توجد في الطبيعة وبيئة معينة، ويدركها الشاعر في ظروف نفسية خاصة تثير شعوره بالرضا والارتياح.

لذلك، فإن الجمال الذي يسكن روح الشاعر يجسد العلاقة بين الموضوع الخارجي المتناسق، البيئة المحيطة، والنفس المدركة. فإعجاب الشاعر بالموضوع يتوحد معه دون الالتفات إلى العلاقات الأخرى، ويشعر وكأن الحياة توقفت فجأة، ويخوض التجربة الجمالية مركزًا انتباهه على الموضوع فقط، عن طريق الاندماج به ومنحه مزيدًا من الحيوية والدلالة. وعندما يستجيب الشاعر للجمال، يتفتح لاستقبال الشعور، ويكون تحت وطأة الانفعال، فالتجربة الجمالية تجربة انفعالية أساسًا. الشاعر الذي يمتلك اتزانًا انفعاليًا عاليًا يستطيع الاستجابة للجمال بشكل أكثر فعالية من غيره؛ فالنفسية تتكون من عدد من السمات المستقرة التي تكشف ميل الشاعر إلى الاستجابة الجمالية بطرائق متناسقة في المواقف المختلفة.

إن أفضل توصيف للاستجابة الجمالية عند ابن المعتز هو أنها ولادة جديدة تتجدد مع كل خبرة جمالية، فهي نشوة لحظية فورية تغمر الشاعر بعد أن يقطع صلته بالماضي، ويكشف جوهر الوجود قبل أن تمزقه الحواس أو يقيده العقل بالعلاقات المنطقية أو التركيبات العلمية. وقد تحقق فيه شرط بول فاليري حين قال: "شرط الشاعر الحق ما يفرق بينه وبين حالة الحلم، ولست أرى غير محاولات إرادية، محاولات لترويض الفكر ... وانتصار دائم للتضحية ... إنّ من يتكلم عن الضبط والأسلوب إنما يعني ما يضاد الحلم" (Delacroix, 1927, p. 1271).

فنفسية الشاعر مرتهنة بما تضبطه الأطر العامة للإبداع؛ فحتى ترجمة الحلم إلى شكل إبداعي لا تتم إلا وفق هذه الأطر. وعلى هذا، تراوحت الإبداعية الشعرية عند ابن المعتز بين المظهر السيكولوجي التلقائي والآخر الإرادي. فهو أثناء الإبداع يمر بلحظات تلقائية يكاد يختفي فيها كل أثر لبذل الجهد، ويمر بلحظات أخرى ملؤها المقاومة والتنقيب. ولذلك، اعتبر Delacroix أن للإلهام وجوده ولكنه لا يكفي لتفسير الإبداع، كما وصفه Félix Clay: "نطلق كلمة الإلهام على لحظات الإبداع الفجائية، وهي لحظات تنتابنا مصحوبة بأزمات انفعالية، وتبدو بعيدة عن العمليات العادية للعقل والشعور، بعيدة عن حكم الإرادة وسيطرتها، تأتي غير متوقعة ومجيئها غير مرهون بدعائنا، كالنوم والأحلام" (Clay, 1917, p. 244).

وهكذا، يؤلف العمل الفني عند ابن المعتز بين عناصر عقلية وعناصر حسية؛ فهو يستعين بعقل إيجابي نشط وحساسية حية عميقة، ولو أغفل التأمل الذي يميّز ويفرق ويختار، لعجز عن السيطرة على موضوعه. فالابن المعتز يحلم ولكن في اليقظة. إن جل أشعار ابن المعتز مرتبطة بحياته تقريبًا ومتصلة بها اتصالًا وثيقًا، وهذا لا يعني أن حياته مصورة كاملة في شعره، لكنه حين ينظم موضوعًا أو غرضًا معينًا، ينظر إليه من خلال نفسه، فلا يغفل الصلة بينه وبين حياته أو أفكاره، وإذا خلا بنفسه استعدادًا للنظم، كان غير مقيد بمنهج أو خطة مرسومة، فإذا ما أراد البدء بالقصيدة انكشفت أمامه صور حياته كلها،

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

فينتقل من واحدة إلى أخرى حتى يصل أشدها تأثيرًا، فيقف عندها، وتشرق ساحتها إشراقًا تامًا، ويتضاءل ما عداها إلا بمقدار ما يساندها ويكملها كجزء من حياته المتصلة بالكل.

إن حياة ابن المعتز لا يمكن إلا أن تكون مليئة بألوان الصراع، إذ في داخله قوتان تتصارعان: الميل البشري للسعادة والطمأنينة من جهة، وشوق جارف إلى الإبداع قد يتغلب على كل رغبة شخصية من جهة أخرى. وقد تجسد عمله الإبداعي في أن السببية التي تدفعه إلى الحلم تحقق من الرغبات المكبوتة عنده ما يحققه الحلم، ويستعين بالرموز والإشارات والصور للتنفيس عن هذه الرغبات وخلق علاقات بينها غريبة وفي الوقت نفسه متماسكة، ومن هنا تأتي المتعة التي يجدها في إخراج عمله الفني إلى الوجود.

إن العوامل النفسية في شخصية ابن المعتز، مثل شعوره بالنقص، ووجود زخم كبير من العقد النفسية داخله، وخوفه الأزلي من نوائب الدهر، وخاصة الموت وما يتصل به من الفراق والمشيب، كان لها أثر كبير على أسلوبه الشعري. فقد انعكس ذلك في إسرافه في البديع وتحرره في التعبير، حتى بدا التشخيص Personnification واضحًا في شعره، وكان له أثر في غموض بعض معانيه. تراوحت ألفاظه بين الغرابة والجزالة، وكذلك نظرته إلى الجمال وتذبذبها في عقيدته ورأيه، حيث كان شعوره بالنقص يدفعه لا شعوريًا إلى تجميل كل ما تمتد إليه يداه.

لقد أغرم ابن المعتز باستخدام المحسنات البديعية، والتي تعد من ضروب التجميل، فاستعملها لتعزيز نقاط ضعفه، موافقًا بذلك سنة الوجود ومواكبًا طبيعة الأشياء. هذه العقيدة أوجدت لديه إرهافًا حسيًا ووحدة شعور، فأسهمت في إضفاء الحياة على الطبيعة وبث روح في الجماد، في صورة البلاغة الغربية المعروفة بـ Personnification، والمكافئة في البلاغة العربية بالاستعارة المكنية.

عمومًا، تتميز نفسية ابن المعتز بالارتكاز على تحقيق التوازن النفسي عبر التقمص المرتبط بحلم اليقظة؛ فحتى لو ازداد النشاط الواقعي في حياته، فهو لا يتخلى عن الخيال في إدارة شؤون شخصيته، ويعوض عن نقص الاحترام الذاتي بالعملية الإبداعية بدلًا من حلم اليقظة. وبالتالي، تصبح الحالة الشعرية إطارًا لمشاركة هذا الحلم مع المتلقي، الذي يتلقى نتاجه الشعري ويعيش التجربة الجمالية معه.

إن تماهي نفسية ابن المعتز مع الطبيعة في وصفها وتصورها يعكس الحقيقة الكامنة وراء سعيه لتغطية الرتوق النفسية داخله. فهو حين يتحدث عن الطبيعة يغلب عليه الاعتراف النفسي غير المباشر، فيجعلها امتدادًا لنفسه، تنعكس عليها مأساته أو فرحه. ويُفهم هذا الواقع حقًا عند دراسة نفسية الشاعر التي جرّبت مآسي الحياة الثقيلة.

لقد كان نزوع ابن المعتز نحو الطبيعة نزوعًا نفسيًا بالدرجة الأولى، بعد استيائه من نفعية الناس في التخفيف من وطأة الحياة القاسية، فارتد إلى نفسه، يتأمل ويحيا أحاسيسه، كما فعل الرومنسيون مثل بيرون وكيتس، فاستعاد من الطبيعة المحبة والكريمة تعويضًا عن القسوة الإنسانية، ويعيش من خلالها تجربة نفسية متوازنة ومتصلة بالحياة.

عبّر ابن المعتز عن قابلياته الحسية والعقلية في شعره بطريقة تستحوذ على الانتباه، فتسامت أشعاره أحيانًا، وعبر عن اعتداده بالنفس في مواقف مختلفة، وأوضح التناقض النفسي في كثير من نصوصه. إن قوة شعره تعكس قوة شخصيته، وقد وظف هذه القدرة لتأكيد ذاته بألفاظ تنساب من ينبوع عبقريته. وفي هذا الصدد يقول العقاد: "الشاعر الذي لا نعرفه بشعره لا يستحق أن يُعرف، لأنّ كلام الشاعر هو الصلة الكبرى التي بيننا وبينه، وإن لم يكن هذا الكلام معبرًا عن نفسه، فليس بطائل، وإن كان معبرًا عن النفس مستجمعًا لصفاتها وأطوارها فهو حسبنا معرفة بالشاعر وترجمة لحياته" (العقاد، 1970، ص. 34).

وهذا الرأي النقدي يؤكد أن ابن المعتز ينطلق في شعره من تجربة شعورية واعية، متلاقحة مع المؤثر الخارجي. ولا غرابة أن تتكرر في شعره نوازع نفسية، بواعثها حصيلة تفاعل نفسي وتربوي واجتماعي، كونته مؤثرات بيئية مختلفة. وقد تواءمت شخصيته مع وجهة نظر علم النفس التي ترى بوجوب التوازن بين الفرد وبيئته، وهذا الرأي ينسجم مع تصور الفرد للعالم ويحدد تفكيره وعاطفته وإرادته ونشاطه.

وعليه، نشأ الفعل الإرادي الإبداعي عند ابن المعتز مزاوجًا بين دافع تأكيد الذات ومغزى السلوك الخارجي الذي يعكس ما يعتمل داخل الذات. وقد حفلت أشعاره بالعديد من الصور الشعرية الملونة بالمشاعر والأحاسيس التي تنقل دخائل الشاعر للمتلقي، فتمثل الطبيعة مسرحًا واسعًا للتجول والوصف والتعبير عن المشاعر الإنسانية. فالليل والنجوم والصبح، والسحابة الماطرة والتراب، جميعها أطر لتجسيد الأحاسيس النفسية: النرجس ناظر عاتب مسرور، والندى محب محزون مهجور، والليل رمز للحيرة والهم والأحزان، كما يظهر أثر هذا في طول الساعات وامتدادها، حتى يحسبها المهموم دهراً. فالطبيعة عند ابن المعتز نابضة بالأحاسيس، وتظهر العلاقة النفسية بين الشاعر وما يراه من عناصر محيطة به (الزوزوني، 2002، ص. 77).

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي * بِصَبَاحٍ وَمَا الصَّبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

يكمل الشاعر الصورة النفسية للكون، فالفجر لم يتأخر في الظهور إلا لقسوة هذه الليلة وازدحام الآلام والهموم بها. فهذه الأبعاد الثلاثة للكون- الليل، والنجوم، والفجر - تشارك البعد الرابع، الإنسان، همومه وأحزانه، بل وتمتصها منه لتجترها وحدها. فتجتمع الأضلاع الأربعة لشكل الطبيعة، ليمثل الإنسان ضلعًا منها. يقول ابن المعتز (الزوزوني، 2002، ص. 77):

جَارَ هَذَا الدَّهْرُ أَوْ أَبَا * وَقَرَّاكَ الْهَمُّ أَوْصَابَا
وَوُقُودُ النُّجُومِ وَاقِفَةٌ * لَا تَرَى فِي الْغَرْبِ أَبْوَابَا
وَكَأَنَّ الْفَجْرَ حِينَ رَأَى * لَيْلَةً قَاسِيَةً هَابَا

وفي تصوير بديع، تبرز نفسية الشاعر المتعطشة للارتواء بنعيم اللذة، فيقول (الزوزوني، 2002، ص. 412):

جَاءَتْ تَهَادِي كَالْغُرَابِ الْحَانِمِ * مَكْظُودَةً مَسْوَدَّةَ الْقَوَادِمِ

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Sada Al-Jamiah Journal for Humanities (مجلة صدى الجامعة للعلوم الإنسانية)
Volume 4 - Issue 2 - 2026 - Pages 236-243
Website: https://oujournals.ly/index.php/sajh/index

تَضُجُّ بِالْتَهْتَانِ وَالْهَمَائِمِ * حَتَّى شَفَّتْ غِلَّةً تَرُبَّ هَائِمِ

فهذا التراب، الهائم بالمطر، يشفي غليله كرمز للحاجة في أبسط صورها في الطبيعة، العطاء المتدفق الذي يحقق الإشباع والارتواء. وفي مواضع أخرى من شعره، يصف الشاعر أيضًا زهر النرجس من خلال إحساسه به وفيض مشاعره، ويقول (الزوزوني، 2002، ص. 254):

أَمَا تَرَى النَّرْجَسَ الْمِيَاسَ يَلْحَظُنَا * أَلْحَاظَ ذِي فَرَجٍ بِالْعِتَبِ مَسْرُورِ
كَأَنَّ أَحْدَاقَهَا فِي حُسْنِ صُورَتِهَا * مُدَاهِنَ التِّبْرِ فِي أَوْرَاقِ كَافُورِ

فهو يشخص النرجس ويجعل له عواطف الفرح والسرور، وإحساس الشاعر بهذا النرجس انبرى لوصفه، فجمال الأحداق دعاه إلى تشبيهها بلون الذهب. فهو أخّاذ يسلب اللب ويملك النفس ببريقه ورونقه، ويستثير الشاعر انتباه القارئ والسامع بصياغة المعنى بأسلوب الاستفهام التقريري. وفي صورة بديعة أخرى في وصف النرجس يقول ابن المعتز (الزوزوني، 2002، ص. 202):

عُيُونٌ لُجَيْنٌ فَوْقَهَا حَدُّ قَصْرٍ * يُزَيِّنُهَا مِنْ تَحْتِهَا عُمُدٌ خَضْرٌ
كَأَنَّ انْحِدَارَ الطَّلِّ فِي جَنَابَتِهَا * دُمُوعُ مُحِبٍّ قَدْ أَضَرَّ بِهِ الْهَجْرُ

يتحدث الشاعر في هذه المقطوعة عن بداعة الندى فوق زهر النرجس من خلال وصفه له وللألوان التي تضمها. ومن أسباب جماله أيضًا أن هذه الأزهار عيون لمحب ألمّه وأوجعه الهجر، فانهمرت دموعه. ومن أهم أسباب الجمال أيضًا اتصال الندى بالزهرة اتصالًا يجعل الندى نابعًا منها باعتباره دمعها. فإيجاد الشاعر لهذه الصلة بينهما أعطاها كونًا جديدًا لم يكن لها في الحقيقة. فالمادة الأساسية للموصوف أو المصور هي النرجس، وعليه قطرات الندى، أما الوصف فهو العين التي تذرف الدمع. وأضاف الشاعر إلى الصورة الحب والهجر، فأعطاها لونًا جديدًا، ليصبح النرجس بهذه العبارات أقرب إلى عالم الإنسان منه إلى عالم الطبيعة، التي تتسم بالعفوية والإرادية.

ولكن تماهي نفسية ابن المعتز لا ينتهي هنا، فهو يجعل النرجس معادلاً لشخصه، حسّاسًا بأطواره النفسية العميقة. ولننظر قوله مثلًا:

وَقَفْتُ بِالرَّوْضِ أَبْكِي فَقَدْ مُشَبَّهِهِ * حَتَّى بَكَتْ بِدُمُوعِي أَعْيُنُ الزَّهْرِ
لَوْ لَمْ تُعِرْهَا جُفُونِي الدَّمْعَ تَسْفِحُهُ * لِرَحْمَتِي لِاسْتِعَارَتِهِ مِنَ الْمَطَرِ

صورة رائعة عن ذلك الانسجام والوحدة التي خلقها الشاعر لنفسه مع مظهر طبيعي جعله مؤثرًا ومتأثرًا في الوقت نفسه. فصفة البكاء هنا صفة إنسانية أضافها الشاعر إلى الروض، تبيانًا للسيكولوجية التي تحكم شخصه بالطبيعة. فعندما تأثر الشاعر باكيًا لموقفه وحال المؤثر الواقعي، انبرى الزهر ليجاريه في بكائه ومشاطرته آلامه. فحتى لو لم تعرها أجفانه الدمع، يقسم الشاعر أن هذا الزهر سيستعير العبرات من المطر حتى يحزن لحزن خليله، الذي هو الشاعر.

فابن المعتز أخذ ينفخ الروح في مظاهر الطبيعة، أي راح يتعامل معها وظواهرها على أنها كائنات حية تشعر بما يشعر به كل ذي روح، لكنها لا تشبه الإنسان الأناني القاسي في تصرفاته مع أهله وخلانه. وفي موضع آخر، يذهب ابن المعتز بعيدًا في التماهي النفسي مع الطبيعة، حيث ينفث فيها ومن خلالها لواعجه ومآسيه، فيقول مثلًا (الزوزوني، 2002، ص. 198):

فَإِمَّا تَرِينِي بِالَّذِي قَدْ نَكَرْتُهُ * فَيَا رَبِّ يَوْمًا لَمْ أَكُنْ فِيهِ مِنْكِرًا
أَرُوحُ كَغُصْنِ الْبَانِ بَيْتَهُ الْمَاءِ * وَهَزَّ بِأَنْفَاسٍ ضِعَافٍ وَأَمْطَرَا
فَمَالَ عَلَى مَيْثَاءَ نَاعِمَةِ الثَّرَى * تَغَلْغَلَ فِيهَا مَاؤُهَا وَتَحَيَّرَا

إنها صورة فنية تثبت لنا أن الشاعر مأزوم نفسيًا، وبما أنه شاعر رومنطيقي فهو يلوذ إلى أمه الرؤوم، وهي الطبيعة. فشبه نفسه هنا بغصن البان الذي أثقله الندى، ويُراد بالندى هنا الدموع. هذا الغصن تهزه الأنفاس، وهي نسمات الهواء، وقد جعل الشاعر هذه الأنفاس ضعيفة، وهنا يستكني الشاعر عن نفسه، أمطر هذا الغصن. فبعد أن خنقته وهزته أنفاسه الضعيفة، انسال دمعه في لحظة ارتباك شعوري وجراح نفسي.

يكمل ابن المعتز تصويره لهذا الغصن - وهو يريد بهذا الغصن نفسه كما سبقت الإشارة إليه - الذي مال على ميثاء، وهي الأرض اللينة السهلة من غير رمل. والدلالة هنا أن الشاعر لم يستطع تحمل الأسى، فلم يجد سوى هذه الأرض الملساء الناعمة لاحتضانه واللجوء إليها في أوج لحظات انكساره النفسي. وإذن فقد شكلت الطبيعة الملاذ المريح الذي يجد فيه ابن المعتز وداعته، ويشاركه نكبات دهره فيبوح لها بضره ويتنفس معها مآسيه.

ثم يعود الشاعر في صورة نفسية أخرى ليجعل من نفسه والطبيعة في خانة واحدة، مواجهة الدهر اللئيم الذي جسده هذه المرة، وككثير من المرات، في الليل السرمدي الحافل ببواعث الفوضى الشعورية داخل الأحياء، يقول (الصولي، 1978، ص. 208):

يَا لَيْلَةً بِتُّ فِيهَا دَائِمَ السَّهَرِ * أَرْعَى النُّجُومَ حَلِيفَ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ
كَأَنَّهَا، حِينَ ذَرَّ اللَّيْلَ ظَلَمْتَهُ * جَمَرُ جَلَّتِهِ الصَّبَا فِي مُصْطَلَى خُضْرِ

تستمر النكبة السيكولوجية للشاعر مع غريمه، الليل، الذي ما إن حل عليه حتى انبرى له بالسهر وجفاه النوم، حتى لكأنه يرعى النجوم. وهنا شخص الشاعر النجوم وبث فيها الحياة، وجعل نفسه راعيًا لها أو عليها، وهو يريد بهذا التصوير الفني طول المعاناة واستمرارها دون أن يجد لها ترياقًا يغنيه عنها — الحالة الوجودية والوحدوية — بالراحة والطمأنينة وهناء العيش.

هذا الليل، الذي تهجع فيه الخلائق للتخلص من عناء مكابدة يوم طويل بالمشاق وتجديد هرمونات الراحة الشعورية، يتحالف فيه الشاعر مع الهم والفكر، اللذين يتخيران الليل لمناداته وتقويض رغبته وآماله في لحظات ليلية يغازل فيها الراحة الجسدية

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

على الأقل. ويصور الشاعر هذه النجوم عبر تشبيهها بالجمر، أو تحولها إلى جمر بعد أن كانت في عليائها تنبض إشراقًا ونورًا يُسر الناظر. وهذا التحول يأتي مباشرة بعد انبساط الليل وفرض جبروته وسواده الكالح المهيب، ليصبح الشاعر والنجوم - التي تمثل الطبيعة هنا باعتبارها مظهرًا من مظاهرها - في بوتقة مصيرية واحدة، مواجهة هذا الحاجز الزمني القاضي عليهما بالهيجان النفسي حسب تصوير الشاعر.

لما كان ابن المعتز يهرب إلى الطبيعة مستجيرًا بها من سطوة الدهر، فإن لهذا الهروب محفزات ودوافع، كانت في أغلبها نفسية مأساوية، وأشدها مأساوية مقتل أبيه أمامه. فمأساته بمصير أبيه المؤلم جسدت عمليًا مأساة أكبر وأشد لوعة، وهي مأساته ومأساة قومه بضياع ملك عريض. ومن هنا ندرك عمق الحسرة عند هذا الشاعر، الذي قد يكون صدر في القصيدة عن تجربة مأساة مضاعفة على مستوييها الفردي والجماعي في آن واحد. ولننظر تلك الحالة النفسية المنكسرة والأسى العميق في رثائه أبيه (الصولي، 1978، ص. 202):

لَوْ بِهِ أَقْتُلُ كُلَّ قَرِيبٍ * وَبَعِيدٍ لَمْ يَنَمْ لِي ثَارٌ
مَطَلْتُهُ النَّصْرُ مِنِّي سَنٌّ * لَمْ تَصِلْ بِي فَخَطَاهَا قَصَارٌ
وَلَعَمْرِي لَوْ تَمَطَّتْ بِجَسَدِي * مُدَّةً مَا ذَلَّ لِلْمَلِكِ جَارٌ

إن هذه الأبيات تمنح القارئ قدرًا وافراً من الإيحاءات التي تعزز شعور الألم المضاعف في بعض أبيات القصيدة، ومن هنا يتبدى الأسى العميق الذي تجسد في نفسيته بأكثر مما كان يتخيل، وذلك بسبب العلاقة الضدية بين زمانين؛ في دار الملك التي انتهت بتدمير وجهها الحسن، وكذا الفاجعة التي انطلقت من بشاعة مصير أبيه عبر تعرضه للقتل.

لذلك، يتحسر الشاعر على الزمن؛ فهو لو طال به العهد لانتصر للملك ولانتصر لأبيه، لكن الخذلان طاله وطال دار الملك معه. فقد تجسدت المأساوية النفسية هنا في الجمع بين نكبتين توحدتا داخل الشاعر، لكن ذلك الخذلان ممن رجاهم للنصرة زاد همه وجعًا على وجع. فرسم لهموم قلبه صورتين للفاجعة، تجسدان أعلى درجات الألم والوجع، يقول (الصولي، 1978، ص. 100):

أَفْنَى الْعَزَاءُ هُمُومَ قَلْبٍ مُوجِعٍ * لَوْ كُنَّ فِي صَخْرٍ لَكَانَ صَدُوعًا
يَا قَلْبُ لَيْسَ إِلَى الصَّبَى مِنْ مَرْجِعٍ * فَاحْزَنْ فَلَسْتَ بِمِثْلِهِ مُفْجُوعًا
حَرَمْتَكَ آرَامَ الصَّرِيمِ وَقَطَّعْتَ * حَبْلَ الْهَوَى وَنَزَعَنِي عَنْكَ نَزُوعًا

تجسدت صورتا قلبه المهموم في عبارة "أفنى العزاء"، التي تجسد لهيب الهموم، والثانية صدمة القلب التي رسمها فنيًا لتصدع الصخر. يثير هذا التركيب للصورة المجسمة، التي أنسن فيها المعنويات وأدخلها في نزاع كنزاع البشر الماحق، الانتباه. فاختياره كلمة "أفنى" بدلًا من أي مرادف أقل حدة إيحاء بأنه يريد أن ينقل مدى تنامي شدّة أزمته النفسية إلى أقصى حد، وتتحقق هذه الصورة المهولة في عبارة "تصدع الصخر"، لأنه يحتاج إلى قوة عظيمة تفعل في داخله فعل التفجير الهائل. فكيف يمكن أن يكون وقع هذه القوة في قلبه؟ هي طاقة الهموم التي تتجلى لمن يعانيها بمثل هذا الشعور المدمر.

إن هذا نفسه يمثل المعادل الموضوعي للهموم، الذي يتراءى للشاعر وهو يتحسس ألم تلك الهموم داخل قلبه. ومن الملاحظ أيضًا في هذه الأبيات أن عمق المأساة في غياب النجاة أوصل الشاعر حد اليأس، وتجسد هذا في مخاطبته قلبه بالتحسر على أيام الصبا. كما أن الشاعر جسد في البيت الأخير كلا من الماضي والحاضر ليحدث بينهما علاقة وحوارًا مضمرًا، رافضًا فيه الماضي أي اتصال بالحاضر. فالفعل "صرم" يعني قطع، ويريد به الشاعر القطيعة المعتادة مع تكرار فراق الأحبة.

الواقع أن نفسية ابن المعتز، ورغم أنها جسدت في كثير من الأحوال نفسية منكسرة ومحبطة، إلا أنه أحيانًا جسد مقولة "الأزمة تلد الهمة ."فمن المحنة إلى القدرة المفارقة العجيبة تتجسد كيفية انتفاض الشاعر على ذاته. فقد وصل في نهاية المقطع السابق إلى أعلى درجات اليأس، وهو هنا يبدأ من أعلى درجات القوة، يقول (الصولي، 1978، ص. 300):

إِنَّا لَنَنْتَابَ الْعِدَاةَ وَإِنْ نَأَوْا * وَنَهُزُّ أَحْشَاءَ الْبِلَادِ جُمُوعًا
وَنَقُولُ فَوْقَ أُسَرَةٍ وَمَنَابِرٍ * عَجَبًا مِنَ الْقَوْلِ الْمُصِيبِ بَدِيعًا
قَوْمٌ إِذَا غَضِبُوا عَلَى أَعْدَائِهِمْ * جَرُّوا الْحَدِيدَ أَزِجَّةً وَدُرُوعًا
حَتَّى تُفَارِقَهَا مُهَمُّ أَجْسَامِهِمْ * ضَرْبًا يُفَجِّرُ مِنَ الدَّمِ يَنْبُوعًا

والواقع أن هذا من ذاك؛ فهو لا يستطيع الاستمرار في حالة اليأس إلى ما لا نهاية، وهو بحاجة إلى أن تكسر هذه الحال، وإلى أن تتحول إلى ما يشكّل معها توازنًا نفسيًا يعيد لذاته الثقة في مكسب ما، كي يعادل تلك الخسارة التي غدت واقعًا مقضيًا. وما دام الحاضر لن يمنحه ذاك المكسب، فإن الخيال هو البديل النقيض الجاهز للانطلاق وإحداث التوازن.

فعزوف الشاعر عن صيغة الماضي، الذي تجسدت فيه هذه القوى الخارقة لأهله وأجداده، إلى صيغة الحاضر، الذي ترهلت فيه الخلافة وصارت عبارة عن تناحرات وتنافسات سلطوية، هو عزوف له دافع داخلي، له مسوغاته الوجدانية لا العقلية الواعية. فلو لجأ إلى الماضي لكان كمن يصف حدثًا مضى وانتهى أمره، لكن نفسية الشاعر ترفض قبول ذلك، وتصر على أن قدرة القوم، ومن خلالهم هو، تنحو على الطبع والشيمة أقرب منها إلى الحدث، فالطبع له دوام الثبات، أما الحدث فهو وقتي، آني، متغير.

إن في هذا المنحى انتفاضة على الاستكانة التي أصابته بانكسار كبير في المقطع الأول، كما رأينا، لكنها في واقع الحال انتفاضة زائفة، ولذلك اقترنت بتصوير مبالغ فيه لتلك القدرة، التي كمن ضعفها فيها، ولما آن حان وقت حضور ذلك الضعف، حضر فانهار كل شيء.

وباعتبار أن ابن المعتز طالما التصقت به صفة أمير التشبيه في النقد القديم، فإن لهذا التشبيه تأويلًا نفسيًا مميزًا عند الشاعر. لذلك، فإن الدوافع النفسية تنفرد في تجسيد الأحاسيس والمشاعر في نتاج الشاعر من خلال رؤيته لتلك الحالة، فتسهم في

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

صورة المقارنة في التشبيه، فتبعث في المتلقي حالة التأمل والمقارنة بين الحالتين، اللتين تجمع بين مكوناتهما صفة واحدة، فتصل إلى حالة التلاحم، ويكون ذلك باعثًا لرسم صورة التشبيه المعبرة والمؤثرة في المتلقي.

لذلك، فإن الصورة التي يرسمها الشاعر من خلال نصه تبدو ذات علاقة بتكوين الشاعر النفسي، من حيث كونها تركز على عاطفة الشاعر المستقاة من العامل البيئي الذي يحيا فيه. ونجد هذا الأمر حاضرًا بقوة في فخريات الشاعر، أو في وصف الخيل، أو حتى في اعتداده بنفسه حين خروجه في الرحلة الطردية.

فاعتماد الباعث النفسي لدى الشاعر على العوامل المؤثرة، والتي لها الدور الأكبر في إنجاح عملية رسم لوحة التشبيه، يجعل الصورة المرسومة في شعر ابن المعتز ذات ملامح تعبيرية متمثلة في نقل دوافعه النفسية المتأثرة بالعوامل المحيطة به. ومن خلال قراءة مجملة للنصوص التشبيهية في مختلف الأغراض عند ابن المعتز، يلاحظ أنها بُنيت أساسًا على دوافع نفسية نقلتها صورة التشبيه. ومن الملاحظ أيضًا أن الفنون البلاغية ذات الأداء الصوتي تشكل حضورًا ملموسًا في النصوص الشعرية التي تحمل صورة التشبيه، وتجسد الدلالات النفسية بشكل مكثف ومعبر، مما يعطي دورًا للباعث النفسي لينسجم مع التوقعات، بأن هذا الباعث يؤثر بشكل كبير في صورة التشبيه في شعر ابن المعتز.

ولذلك، فمن المنطقي القول بأن الباعث النفسي يمثل الدافع الحقيقي في رسم التشبيه المؤثر، وقد تفنن ابن المعتز في خطاباته الشعرية في رسم متعة لا تقف عند حدود الصورة الواحدة باستخدام التشبيه، بل يولد الشاعر منها صورًا متتالية تشهد له بالبلاغة والبراعة.

ورغم أن الطبيعة كانت له نديماً ومتنفسًا نفسيًا، إلا أنها لم تكن وحدها في هذا المجال، فهو حين يلجأ إلى الخمر، يرغب في نسيان ما بداخله من الهموم والأحزان، ومن ذلك قوله عنها (الصولي، 1978، ص. 104):

يَا صَاحِبَيَّ دَعَا الْعَذَّالُ فِي شَغَبٍ * وَأَنْفِدَا فِي السُّرُورِ الْمَالَ وَالْعُمْرَا
وَسَقِّيَا وَاشْرَبَا رَاحًا مُعَتَّقَةً * تَسْتَأْصِلُ الْهَمَّ وَالْأَحْزَانَ وَالْفِكْرَا

فهو يدعو إلى بذل المال والعمر في سبيل الخمر، فهي السرور ذاته، وهي أيضًا تقتطع الهم والحزن والألم. وللتأكيد على هذه القدرة التي تتميز بها الخمر في إزالة الهم ومنح السرور، وجلب البهجة إلى القلب، يقول (الصولي، 1978، ص. 20):

صَفْرَاءُ تُنْسِيكَ الْهُمُومَ إِذَا بَدَتْ * وَتُعِيرُ قَلْبَكَ حُلَّةَ السَّرَاءِ
تِلْكَ الَّتِي إِنْ تُصَادِفَ قَلْبَ ذِي حُزْنٍ * تُجَزِّلْ عَطِيَّتَهُ مِنْ كُلِّ سَرَاءِ

إن مرافقته لها، سواء في الواقع أو في الخيال، لا يتفتق عندها الإبداع ولا تصقل معها العبقرية، فالشاعر في وصفه لها هو يهرب إليها من باب درء الهموم عن نفسيته المستقاة من جحيم الواقع.

إن ابن المعتز شكل ظاهرة نفسية معقدة ومتداخلة تبعًا لمسارات حياته وانعكاسات الواقع المجتمعي على هذه النفسية. وقد مثل ابن المعتز ذلك النوع من الشعراء الذي ما إن سيطر عليه فكرة ما حتى ينفعل بها، فتنفتح أمام عينيه رؤيته يتحسسها ويشغف بها، فتتحفز الملكة الإبداعية، ناهلة من الثروة اللغوية عنده، حتى تخرج هذه الكلمات والمفردات موقعة موسيقيًا، فينتظم له القول فتأخذ القصيدة مجراها عنده. وإن كان العمل بدأ على هذا النحو لاشعوريًا، فإنه يصبح شعوريًا عند السير في العمل الشعري (Bowra, 1955, p. 4)، "لأن بداية الأمر كله — نقصد الإبداع عند ابن المعتز — يتم وفق معادلة بيولوجية، حيث إن أمر الإبداع يبدأ اضطرابًا بيولوجيًا يؤثر على أعصاب الشاعر".

ويشتد التأزم مع التدفقات الكيميائية في عقله وجسده، وتستمر هذه الحالة النفسية والعقلية والجسدية حتى يستفرغ الشاعر كل نداءاته الداخلية، مستفيدًا في ذلك من خبراته الثقافية والعملية والحضارية، ومما يتمتع به من قدرة على الحدس واستشراف المستقبل. فهو يتنقل من خلال هذه الحالة الأنطولوجية إلى ما وراء الواقع، ويخرج بواسطتها عن المحيط المادي ليتعامل مباشرة مع انبثاقات ضوئية ترتسم في عقله، وتعبر أمام عينيه، متخذة شكل شريط من الأفكار والصور والمفردات التي تتكيف على يديه لتصبح قصيدة من القصائد الخالدة. ومن هنا تبرز قيمة التشكيل الجمالي النفسي عند ابن المعتز.

إن ابن المعتز كان يسعى من خلال خياله الخصب إلى إرواء ظمأه النفسي المشبع برغباته وطموحاته، وحتى آلامه وانكساراته. وفي هذه الحالات، نجد أن ابن المعتز قد تسامى في شعره في مواطن كثيرة، وتألم في مواطن كثيرة، وندب ذاته في مواقف متعددة. وإن ما جاء به من خلق في شعره كأنه أراد أن يعوّض به ضحالة الحياة، وكأنه كان يرمي إلى إطلاق شحنات نفسية حبيسة، تتأجج بحيث نجد الصياغة من القوة المتناهية، مما يعكس قوة شخصية ابن المعتز.

فالتحليل النفسي يقول إن قوة الأثر الأدبي والفني والفكري تعكس شخصية صاحبه، وقد أراد ابن المعتز بشعره أن يخفف على ذاته شقاء الحياة والأزلية النكدية للزمان. فلقد جعل من شعره إطلالة ينفذ من خلالها إلى معترك الحياة، ولهذا فهو مازج بين اعتقاداته النفسية والعنت الذي لاقاه في الحياة. وكثيرًا ما نجد الأنا العليا عند ابن المعتز متفاعلة على نحو يكاد ينطقه بالشعور بالهجر من الآخرين وباللاأمان من الحياة.

إن الكشف عن منازع الأنا المتقلبة عند ابن المعتز يوحي بأنه يعيش حياة نفسية قد يتمثل فيها التجانس والانسجام أحيانًا، وقد يبدو عليها شيء من الصراع النفسي الذي ينعكس على علاقته الاجتماعية وعلى صلته بالحياة من جهة أخرى. ورب وجوه من الحياة النفسية يصورها مبدع مثل ابن المعتز ويتجاوز فيها المدى أو يقصر به، ولكن ابن المعتز كان دائمًا، من حيث الخيال والطموح، أبعد من المرامي التي كان يتوقعها. ولهذا جاء شعره مصداقًا للانطلاقات النفسية.

وهنا نجد أن علم النفس يعبر عن مكنونات دفينة قد يحاول الشاعر أو الأديب أن يرسمها رسمًا باللفظ، ولكنه لفظ رمزي، وهذا ما نجده تمامًا عند ابن المعتز؛ إذ أنه صرح بأطوارها ولمح أحيانًا، ولهذا كان يفرط أحيانًا في الفاعلية وأحيانًا في الانفعالية، بعيدًا عن اللافعالية. وهذا النوع من المنحى الشعوري السلوكي يكشف عن إحباطات نفسية، لكنها إحباطات جاءت تعبيرًا عن الإبداع. وكان يحلم في حياته أن يتبوأ ما كان يرمي إليه، ولكن سعيه المتعجل أحيانًا قد يكون سببًا في قتل الحلم.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

فالبعد النفسي عند ابن المعتز يلاحظه القارئ الذي يروم إعطاء صورة إيقاعية للحالة الشعورية، التي تكاد كلها سمة طاغية على الفن الشعري عنده. وهي صورة مؤثرة وصادقة لتكوينه الوجداني العام، وقد مكنته اللغة العربية، وهو من أبنائها بحكم طبيعتها، أن يؤثر في قارئيه ويكاد يستدرجهم ليعاشروه في نفس العصر. وهذه القدرة قلما تأتت لشاعر غيره، بحيث يؤثر فيمن يقرأ شعره فيحس بأحاسيسه. وشعر ابن المعتز في هذه الحالة هو في صورة إيقاعية ترسم ملامح شخصيته وتحدد معالم سجاياه، إذ هو تمكن من أن يعكس دواخله النفسية مصوغة بألفاظ دقيقة وواضحة.

النتائج

توصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، من أبرزها أن القراءة النفسية للنص الشعري القديم تكشف أبعادًا جديدة لا تظهرها القراءة البلاغية التقليدية، وتفتح المجال للربط بين الأدب وعلم النفس. كما أظهر شعر ابن المعتز حضورًا واضحًا للدلالات النفسية، أبرزها القلق من زوال النعمة والحنين إلى الاستقرار. ولم تقتصر المحسنات البديعية والصور الشعرية عنده على الزخرفة، بل كانت أدوات تعبيرية لنقل التوتر النفسي وتقلبات المزاج وحالات اللذة والحزن. علاوة على ذلك، لم يكن شعره مجرد وصف للطبيعة، بل كان مرآة صادقة تعكس أعماقه النفسية وتقلباته الوجدانية. وتجاوز شعره السيرة الذاتية ليطرح قضايا إنسانية عامة، مثل الفقد والخوف من المجهول، والبحث عن الأمان.

المراجع

أولاً/ المراجع العربية

1.ابن المعتز، عبدالله. (1961). الديوان. بيروت: دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر.
2.ابن النديم، أبو الفرج محمد. (1996). الفهرست (ضبط وشرح: يوسف علي الطويل). بيروت: دار الكتب العلمية، ط1.
3.ابن خلكان، أبو العباس أحمد. (1970). وفيات الأعيان (تحقيق: إحسان عباس). بيروت: دار صادر، ط1.
4.ابن رشيق، أبو علي حسن. (1994). العمدة في محاسن الشعر وآدابه (تحقيق: محمد قرقزان). بيروت: دار المعرفة، ط2.
5.ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم. (د.ت.). الشعر والشعراء (تحقيق: أحمد محمد شاكر). القاهرة: دار المعارف، ط2.
6.الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى. (1978). شعر ابن المعتز: دراسة وتحقيق (يونس السامرائي، القسم الأول، ج2). بغداد: وزارة الثقافة والفنون العراقية، دار الحرية للطباعة.
7.أحمد كمال زكي. (1964). ابن المعتز العباسي. القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف، ط1.
8.إبراهيم طه. (2004). تاريخ النقد الأدبي عند العرب. المملكة العربية السعودية: دار الفيصلية، د.ط.
9.الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر. (1999). أسرار البلاغة (تحقيق: محمد الفاضلي). بيروت: المكتبة العصرية، ط2.
10.الزوزوني، أبو عبدالله الحسين. (2002). شرح المعلقات السبع. بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي، ط1.
11.العقاد، عباس محمود. (1970). ساعات بين الكتب. بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط.
12.جان بيلمان نويل. (1997). التحليل النفسي والأدب (ترجمة: حسن المودن). القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، د.ط.
13.فضل، صلاح. (2002). مناهج النقد المعاصر. القاهرة: ميريت للطباعة والنشر، ط1.
14.معلوف، لويس. (1975). المنجد في اللغة والأعلام. بيروت: دار المشرق، ط25.
15.ميجان الرويلي، سعد البازغي. (2002). دليل الناقد الأدبي: إضاءة لأكثر من سبعين تيارًا ومصطلحًا نقديًا معاصرًا. المركز الثقافي العربي، د.ط.

ثانياً/ مراجع باللغة الأجنبية

1.Clay, F. (1917). The origin of the sense of beauty. London: J. Murray.
2.Bowra, C. M. (1955). Inspiration. London: Macmillan.
3.Delacroix, H. (1927). Psychologie de l’art. Paris: Alcan.

Disclaimer/Publisher’s Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **SAJH** and/or the editor(s). **SAJH** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.

Copyright: © 2026 by the authors. Submitted for possible open access publication under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).